أَنَّـــى يَـــكُـــونُ أَبَـــا الْـــبَـــرِيَّـــةِ آدَمٌ
وَأَبُـــوكَ وَالـــثَّـــقَـــلَانِ أَنْـــتَ مُـــحَـــمَّـــدُ(١)
يَـفْـنَـى الْـكَـلَامُ وَلَا يُـحِـيـطُ بِـفَـضْـلِـكُـمْ
أَيُـحِـيـطُ مَـا يَـفْـنَـى بِـمَـا لَا يَـنْـفَـدُ(٢)

تعجل فيَّ وجوب الحدود

وقال وقد وشى به قوم إلى السلطان فحبسه فكتب إليه من الحبس:

[المتقارب]

أَيَـــا خَـــدَّدَ ٱلـــلَّـــهُ وَرْدَ ٱلْـــخُـــدودِ
وقَـــدَّ قُـــدُودَ الْـــحِـــسَـــانِ الْـــقُـــدُودِ(٣)
فَـــهُـــنَّ أَسَـــلْـــنَ دَمـــاً مُـــقْـــلَـــتـــي
وَعَـــذَّبْـــنَ قَـــلْـــبِـــي بِـــطُـــولِ الـــصُّـــدُودِ(٤)
وَكَـــمْ لِـــلْـــهَـــوَى مِـــنْ فَـــتًـــى مُـــدْنَـــفٍ
وَكَـــمْ لِـــلـــنَّـــوَى مِـــنْ قَـــتِـــيـــلٍ شَـــهِـــيـــدِ(٥)

= القاني، وقد غاصت في الطُّلى والكبد، وينتج عن ذلك أمجاد طيّئ، فإذا بالناس يشيرون بإعجاب إلى الطائيين وإلى أميرهم بأنه سيّدهم، وبأنهم سادة الناس إليهم مرجعهم، لأنهم عبيدهم.

(١) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ٩٠. البرية: الخلق. الثقلان: الإنس والجنّ. يُخاطب الشاعر الممدوح كيف أنّ اللّه تعالى جعل آدم أبا البشرية كما جعل أباه محمداً الطائيّ وجعله يحمل مزايا الثقلين من البشر والجنّة، فكان كاملاً في مزاياه وأخلاقه وكرم أفضاله.

(٢) يعتذر الشاعر عن التقصير في ذكر فضائل ممدوحه، فالكلام يفنى ويعجز عن إيفاء الممدوح حقّه من المدح وذكر فضائله.

(٣) خدّد: شقّق. قدّ: قطع طولاً. القدّ: الطول. يدعو الشاعر دعاء استحسان ليجعل الجميلات ممشوقات القوام، صورهن برسم إلهي بديع وصنعة متقنة بيد خالق السماوات والأرض.

(٤) ورغم ذلك فإنهن جعلن الشاعر يبكي دماً لصدهِنّ؛ فقلبه ملأه العذاب ألماً وحزناً لهجرهن الذي لا نهاية له وصدهن الطويل.

(٥) المدنف: المريض مرضاً مزمناً. النوى: البعد. رحلة الحبّ شاقّة طويلة، ولطالما =

فَـوَاحَـسْـرَتَـا مَـا أَمَـرَّ الْـفِـرَاقَ
وأعْـلَـقَ نِـيـرَانَـهُ بِـالْـكُـبُـودِ(١)
وأغْـرَى الـصَّـبَـابَـةَ بِـالْـعَـاشِـقِـيـنَ
وأقْـتَـلَـهَـا لِـلْـمُـحِـبِّ الـعَـمِـيـدِ(٢)
وألْـهَـجَ نَـفْـسِـي لِـغَـيْـرِ ٱلْـخَـنَـا
بِـحُـبِّ ذَوَاتِ الـلَّـمَـى والـنُّـهُـودِ(٣)
فَـكَـانَـتْ وَكُـنَّ فِـدَاءَ الأمِـيـرِ
ولا زَالَ مِـنْ نِـعْـمَـةٍ فِـي مَـزِيـدِ(٤)
لَـقَـدْ حَـالَ بِـالـسَّـيْـفِ دُونَ الْـوَعِـيـدِ
وَحَـالَـتْ عَـطَـايَـاهُ دُونَ الْـوُعُـودِ(٥)
فَـأَنْـجُـمُ أمْـوَالِـهِ فِـي الـنُّـحُـوسِ
وأنْـجُـمُ سُـؤالِـهِ فِـي الـسُّـعُـودِ(٦)

= عذّبت المحبّ العِفّ، فذاق مرارة الهجر والنسيان ولم يحتمل ما حلّ به فمات شهيداً، وهو يسعى لمرضاة من أحبّ علّه يحظى بالقبول ولكن دون جدوى فكان نصيبه الحرمان.

(١) الكبود، الواحد كبد. يعبّر الشاعر عن ألمه لما حلّ به من حرمان، فإذا بكبده تنتابه نيران حراقة، تأكل ما لديه من صبر، فلم يحتمل الفراق والهجر.

(٢) أغرى: أثار. الصبابة: العشق والميل. العميد: المتيّم. والفراق يُثير في النفس لواعج حبّ يطوّح بالعاشقين فيصبو الواحد منهم حيث حبيبه، وإذا ما استمرّ الهجر سبب ذلك قتل مضني عذّبه الشوق إلى لقاء بعد هجر.

(٣) ألهج: أولع واستمسك. الخنا: الفاحشة. اللمى: سمرة في الشفة السفلى. النهود، الواحد نهد: الثدي. يعبّر الشاعر عن حبّه للنسوة، وميله لهنّ لا تُمليه عليه دوافع خبيثة فاحشة، إنّه الشعور بالجمال والتقدير للجمال المتمثل بجمال سمرة الشفاه السفلى والنهود التي تنمّ عن مثال كامل لجمال المرأة.

(٤) يتخلّص الشاعر إلى وصف ممدوحه؛ فالفداء لنفس الأمير نفس الشاعر والحسناوات اللواتي أحبّهن الشاعر، متمنياً له دوام النعم والمزيد منها.

(٥) و (٦) الوعيد: التهديد. يذكر الشاعر شجاعة ممدوحه، إنه لا يهدّد ولكنه يتصدّى =

وَلَــوْ لَــمْ أَخَــفْ غَــيْــرَ أَعْــدَائِــهِ
عَــلَــيْــهِ لَــبَــشَّــرْتُــهُ بِــالْــخُــلُــودِ[١]
رَمَــى حَــلَــبــاً بِــنَــوَاصِــي الْــخُــيــولِ
وَسُــمْــرٍ يُــرِقْــنَ دَمــاً فِــي الــصَّــعِــيــدِ[٢]
وَبِــيــضٍ مُــسَــافِــرَةٍ مَــا يُــقِــمْــ
ـنَ لا فــي الــرِّقَــابِ وَلَا فــي الْــغُــمــودِ[٣]
يَــقُــدْنَ الْــفَــنَــاءَ غَــدَاةَ الــلِّــقَــاءِ
إِلــى كــلِّ جَــيْــشٍ كَــثِــيــرِ الْــعَــدِيــدِ[٤]
فَــوَلَّــى بِــأَشْــيَــاعِــهِ الْــخَــرْشَــنِــيُّ
كَــشَــاءٍ أَحَــسَّ بِــزَأْرِ الأُســودِ[٥]
يَــرَوْنَ مِــنَ الــذُّعْــرِ صَــوْتَ الــرِّيَــاحِ
صَــهِــيــلَ الــجِــيَــادِ وَخَــفْــقَ الْــبُــنُــودِ[٦]

= لأعدائه بسيفه الذي يُمعن فيهم تقتيلاً ونكاية وإذلالاً، ومن شدّة كرمه أنه لا يعد بعطاء ولكنه يُسارع إلى إظهار كرمه فينثر عطاياه في رعيته ومُحبيه، لذلك فهي كوكب نحس فلا يبقى منها شيء، وفي المقابل فحظوظ سائليه في برج سعد لحصولهم على نواله.

(١) يُعلن الشاعر عن خوفه من أعداء الأمير على الأمير، وهو مطمئن أنه قادر على حماية نفسه، وهو يحمل له بشارة البقاء سالماً من الردى.

(٢) و (٣) النواصي، الواحدة ناصية: شعر مقدم رأس الفرس. السمر: الرماح. أراق: أهرق. الصعيد: وجه الأرض. فاجأ الأمير حلب بفرسانه الذين كانوا يتسلّحون بالرماح، وقد سالت دماء الأعداء فغطّت وجه الأرض لكثرة قتلى عدو الأمير، أما سيوف جنده، فإنها عاملة في رقاب عدوه مسافرة بين ضرب وفتك، وما إن تعود إلى أغمادها حتى تعود إلى عادتها في ضرب رقاب الأعداء، ممَّا يدل على مداومة الأمير وجيشه على مقاتلة أعدائه حيثما كانوا.

(٤) إن مسير الجيش بجنوده وسلاحه وخيوله مقدمة للفتك بكلّ جيش عرمرم كثير الجند، منذر بالموت المحتّم الذي لا مفرّ منه.

(٥) و (٦) ولّى: فرّ. أشياعه: أتباعه المؤتمرين بأمره. الخرشني نسبة إلى خرشنة من بلاد الروم، وهو بدر الخرشني، أحد قواد الدولة العباسية ووالي مدينة حلب. زأر الأسد: =

فَمَنْ كالأَمِيرِ ابْنِ بِنْتِ الأَمِيرِ أَوْ مَنْ كَآبَائِهِ وَالْجُدُودِ[١]
سَعَوْا لِلْمَعَالِي وَهُمْ صِبْيَةٌ وَسَادُوا وَجَادُوا وَهُمْ فِي الْمُهُودِ[٢]
أَمَالِكَ رِقِّي وَمَنْ شَأْنُهُ هِبَاتُ اللُّجَيْنِ وَعِتْقُ الْعَبِيدِ[٣]
دَعَوْتُكَ عِنْدَ انْقِطَاعِ الرَّجَاءِ والمَوْتُ مِنِّي كَحَبْلِ الْوَرِيدِ[٤]
دَعَوْتُكَ لَمَّا بَرَانِي الْبَلَاءُ وَأَوْهَنَ رِجْلَيَّ ثِقْلُ الْحَدِيدِ[٥]
وَقَدْ كَانَ مَشْيُهُمَا فِي النِّعَالِ فَقَدْ صَارَ مَشْيُهُمَا فِي الْقُيُودِ[٦]

= صوته. لقد فرّ والي حلب يتبعه أتباعه المؤتمرون بأمره حالما علم بمقدم الممدوح كالأغنام وقد سمعت زئير الأسد، حتى كأنهم لشدّة فزعهم يظنون أن هبوب الرياح صهيل الخيول تتبعهم بقيادة الممدوح، وقد رفرفت أعلام النصر مؤذنة بانتصاره وهزيمتهم.

(١) و (٢) يستفهم الشاعر مستنكراً أن أحداً ما يُساوي ممدوحه، وقد انحدر من أمير ابن بنت أمير، ولقد ورث أمجاد جدود نبلاء يتبوّأون سدّة الإمارة بالوراثة فمنذ طفولة أحدهم يعتلي المراكز الرفيعة في الدولة حتى إنهم مُقدر لهم أن يسودوا الناس وهم رُضّع لا يزالون في المهود.

(٣) الرِّق: العبودية. الهبات: النوافل، اللجين: الفضة. العتق: الحرية. يُخاطب الشاعر ممدوحه بأنه مستعبد، طالباً منه أن يفكّ قيده ويُعتقه، وهو كريم يهب الفضّة لمادحه حتى يتحرّر من الحاجة فيغتني بعطائه. أين نفس المتنبي الأبية؟ وقد أقرّ بعبوديته للممدوح!!

(٤) الوريد: عرق في العنق يمثل به عن شدّة القرب. يُخاطب الشاعر ممدوحه معلناً عن سوء حاله وعدم أمله بمن كان يأمل منه العون، وقد بلغ منه اليأس كلّ مبلغ، وهو على وشك الموت لشدّة قربه منه.

(٥) و (٦) البلاء: الشدّة والضيق. براه: هزله. يستجير الشاعر بممدوحه ليرفع عنه ما حلّ =

وَكُـنْـتُ مِـنَ الـنَّـاسِ فـي مَـحْـفِـلٍ
فَـهَـا أَنَـا فـي مَـحْـفِـلٍ مِـنْ قُـرُودِ[١]
تُـعَـجِّـلُ فِـيَّ وُجُـوبَ الْـحُـدُودِ
وَحَـدِّي قُـبَـيْـلَ وُجُـوبِ الـسُّـجُـودِ[٢]
وقِـيـلَ عَـدَوْتَ عَـلـى الْـعَـالَـمـيـ
ـنَ بَـيْـنَ وِلَادِي وَبَـيْـنَ الـقُـعُـودِ[٣]
فَـمَـا لَـكَ تَـقْـبَـلُ زُورَ الْـكَـلَام
وَقَـدْرُ الـشَّـهَـادَةِ قَـدْرُ الـشُّـهُـودِ[٤]
فَـلَا تَـسْـمَـعَـنَّ مِـنَ الْـكَـاشِـحِـيـنَ
وَلَا تَـعْـبَـأَنَّ بِـعَـجْـلِ الـيَـهُـودِ[٥]

= به من مصائب أنحلت جسمه وأنهكت قواه حتى إنه لم يعد باستطاعته الحركة بسبب قيد الفقر والحاجة المعنوي وقيد السلاسل الحديدية المادي في رجليه الذي أقعده بلا حراك؛ إنه حديد ثقيل يجرّه معه حيثما ذهب، ولقد كان حاله في ما سبق أهون الشرور، ذلك أنه كان يستعين بنعليه، حيثما ينتقل.

(١) المحفل: الجمع من الناس. يُخبر الشاعر ممدوحه عن حاله قبل اعتقاله؛ فقد كان يشارك أناساً محترمين مجالسهم، ولقد تبدّلت أحواله فإذا به يشارك قروداً، معظمهم من اللصوص وقطاع الطرق من أوباش البشر.

(٢) الحدود، الواحد حدّ: العقوبات. يستنكر الشاعر أن يقيم الأمير الحدّ عليه، لأنّ العقوبة لا تقام إلّا على البالغ العاقل المرتكب إحدى الكبائر، بينما لا يزال الشاعر دون سنّ البلوغ، فكيف تُقام عليه الحدود؟

(٣) و (٤) عدوْت: تخطيت حدّك وبغيت. يُحاول الشاعر تبرئة ساحته من العدوان، إنه لا يزال حدثاً وقد ظلمه الناس بادّعائهم أنه ارتكب ما يستوجب العقاب، وهو لا يزال دون سنّ الرشد، ولقد شهدوا شهادة زور وبُهتان، وهؤلاء لا تُقبل شهادتهم لأنهم سِفلة كاذبون، إنما تُقبل شهادة العدول الذين لم يُعرف عنهم الكذب.

(٥) الكاشح: العدو المبغض. يروى «بمحك» بدلاً من «بعجل». يطلب الشاعر من ممدوحه ألّا يُصغي لأقوال الوشاة المبغضين الذين يُضمرون الشرّ له ليُوقعوا به عند الوالي، وألّا يهتمّ لأقوالهم، لأنهم يهود مطبوعون على الكيد للناس.

وَكُــنْ فَــارِقــاً بَــيْــنَ دَعْــوَى أَرَدْتُ
وَدَعْــوَى فَــعَــلْــتُ بِــشَــأْوٍ بَــعِــيــدِ[١]
وَفــي جُــودِ كَــفَّــيْــكَ مَــا جُــدْتَ لــي
بِــنَــفْــسِــي وَلَــوْ كُــنْــتُ أَشْــقَــى ثَــمُــودِ[٢]

وابلها يغرق البلد

يمدحه أيضاً:

[البسيط]

مُــحَــمَّــدَ بْــنَ زُرَيْــقٍ مَــا نَــرَى أَحَــدَا
إذا فَــقَــدْنَــاكَ يُــعْــطِــي قَــبْــلَ أَنْ يَــعِــدَا[٣]
وقــد قَــصَــدْتُــكَ والــتَّــرْحَــالُ مُــقْــتَــرِبٌ
وَالــدَّارُ شَــاسِــعَــةٌ وَالــزَّادُ قَــدْ نَــفِــدَا[٤]
فَــخَــلِّ كَــفَّــكَ تَــهْــمِــي وَاثِــنِ وَابِــلَــهــا
إذَا اكْــتَــفَــيْــتُ وَإِلَّا أَغْــرَقَ الْــبَــلَــدَا[٥]

---

(١) يطلب الشاعر من ممدوحه التروّي في الأمر وألّا يُسرع في الحكم عليه؛ وإنما القضيّة تتعلّق بمفردات، فثمّة فارق كبير بين أردت أن أفعل ولم أفعل وبين فعلت، وهم في حقيقة الأمر لم يقولوا: إني فعلت، ممَّا يستوجب العفو وعدم التسرّع.

(٢) يُخاطب الشاعر الأمير بأن العفو عند المقدرة من كريم الخصال ومكارم الأخلاق، لذا يطلب منه أن يُطلق سراحه ويهبه نفسه وحرّيته، حتى لو كان عاقر ناقة قوم صالح عليه السلام في ثمود، وذلك منّ منه ونعمة.

(٣) يشيد الشاعر بعطاء ممدوحه؛ إن محمد بن زريق لفيض كرمه فإنه يبادر إلى العطاء قبل وعده؛ فهو سبّاق سائر الناس، حتى إنه يُباري نيته، فيسبق وعده.

(٤) الترحال: الرحيل. والشسوع: البعد. نفد: انتهى، لقد قصد الشاعر ممدوحه وهو على وشك الرحيل، وهو يودّ التزوّد لرحلة بعيدة، وقد نفد منه الزاد.

(٥) تهمي: تسيل. اثنِ: ردّ. الوابل: المطر الغزير. يطلب الشاعر من ممدوحه أن يمدّه بالعطاء. فيكفيه القليل دون وابله الذي يُغرق البلد.